

الصهيونية المسيحية والتبرير الديني لفكرة الوطن

إعداد/ لواء ركن بشير رجب الصفصاف

خبير الدفاع والأمن الوطني

مقدمة (مقاربة تاريخية)

لا أنصیب نفسي مؤرخاً ولا ادعي المعرفة التاريخية في أصولها ومفاهيمها وطرائقها، ولكني أجزم بأنني أمتلك الوعي التاريخي الذي يمكنني من متابعة حركة التاريخ.

لذا وفي هذه (الورقة) سأجعل من التاريخ أداة لتتبع مفاعيله ولأن في حركته أسرار وخفايا تكشف عنها مظاهرها ونواتجها وتداعياتها.

إن عملية " طوفان الأقصى " كشفت الأوراق، وظهرت الحقيقة واضحة للعيان وغير خافية على أحد وذلك لما نسمعه ونشاهد أو نرقبه للدعم اللامحدود لدولة الكيان الصهيوني والذي تقدمه الولايات المتحدة ومن يسير في فلكها من دول الغرب.

يلاحظ المراقب البسيط للمشهد في غزة السرعة الكبيرة ورد الفعل السريع الذي أبدته تلك الدول في وقوفها ودعمها للدولة الصنيعة حيث تقاطر رؤساءها ووزرائها ومبعوثيها السياسيين للتعبير عن مدى خضوعهم لإدارة وسياسات وممارسات هذه الدولة و وقوفهم لاتخاذ أي إجراءات تراها في مواجهة الفلسطينيين مع موافقتهم ضمناً وإعطائهم الضوء الأخضر لشن عدوان انتقامي وحرب إبادة تحت مظلة شعار زائف " حق الدفاع عن النفس " في محاولة لرد الاعتبار من الهزيمة التي مُني بها جيش الصهاينة.

والأكثر تجسيدا - وكمثال - لما أشرنا إليه هو سرعة استجابة الولايات المتحدة ورد فعلها السريع بإرسالها حاملة طائرات نووية (قوة واجب) وكذلك قوة قتالية متخصصة (قوة مهام خاصة) علاوة على الدعم اللوجستي من العتاد والذخائر، والدعم المعلوماتي والعملياتي.

إن رد فعل دولة الصهاينة وما اتسم به من عنف ودمار وتهجير قد يجد له المشاهد ما يبرر نتيجة للصدمة الكبيرة التي تلقها على الأصعدة الرسمي والشعبي والدولي، ولكن من غير المقبول أو غير المنطقي ردة فعل الغرب على ما حدث ويحدث.

❖ وفي هذا الصدد يتحتم طرح جملة من الأسئلة:

- لماذا كل هذا الدعم الغرب لدولة الكيان الصهيوني وسرعة رد الفعل والاستجابة ضد شريط من الأرض يقطنه أناس محاصرون؟
- ما هي مصالح هذه الدول إن كان الصراع من أجل المصالح؟
- ولماذا كل هذا الزخم في حشد القوة إن كان الصراع من أجل القوة؟
- وهل هناك من سبب آخر من قبيل؛ الصراع الديني أو الحضاري أو الوجودي؟

❖ في هذه الورقة تقدم محاولة لاستنطاق التاريخ والحفر في اركيولوجيا المعرفة وتفكيك منطق الفعل التاريخي والصراع الحضاري بين الشعوب والأديان، بُغية الكشف عن حقيقة ما يحدث في الواقع وفي وقتنا الراهن.

وكذلك يمكن اعتبارها محاولة لاستشراف ما قد يسوقه المستقبل من تداعيات على الجغرافيا والثقافة والتاريخ حيث نسعى في طرحنا هذا لترسيخ حقيقة مفادها؟

" بطلان إقامة دولة الصهاينة على أساس تبرير ديني لفكرة الوطن والتي طرحتها الكنيسة المسيحية (البروتستانتية) وعملت على إرسالها واقعا فيما يسمى بإسرائيل ".

في الواقع ما نسعى لتقديمه في هذه المحاضرة يتعلق بالوعي التاريخي برصد حركته في صيرورة انتظام مساره لمسئلة نعيشها في الوقت الراهن تتعلق باللحظات

التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ في علاقات الشعوب الأديان.

1) التساؤل:

لماذا كل هذا الدعم اللامحدود من الولايات المتحدة والدول الغربية لدولة الكيان الصهيوني في المواجهة ضد عملية طوفان الأقصى؟

(2) المنهجية:

نحاول استنطاق التاريخ، والحفر في إريكوجيا المعرفة، وتفكيك منطق الفعل التاريخي والصراع الحضاري بين الشعوب والأديان.

3) الغاية:

نسعى من خلال هذه الورقة لترسيخ حقيقة مفادها؛

«بأطلاق إقامة دولة للصهاينة بتبرير ديني لفكرة الوطن، والتي طرحتها الكنيسة المسيحية البرونستانتية، وعملت

على إرسائها واقعاً بما يسمى ب «إسرائيل»

4) المواضيع:

أولاً:

- محطات تاريخية في تاريخ الشعب اليهودي.
- السبي البابلي والعودة على يد قورش.
- الطرد من الأرض المقدسة على يد الرومان.
- الاضطهاد والتحجير في المجتمعات الأوروبية والطرد من الاندلس مع المسلمين / (مثال:- في مسرحية تاجر البندقية شكسبير)

4) المواضيع:

ثانيا: محطات تاريخية في تاريخ الكنيسة المسيحية:

- الإنقسام الكنيسي (انطاكية) (ك الشرقية/ك الغربية).
- الممارسات ما قبل البرونستنتائية والموقف من اليهودية (القسيس والفيلسوف أوغسطين).

4) المواضيع:

ثالثاً: ظهور المذهب البروتستانتي

- سقوط غرناطة 1492 م.
- نشأت المذهب البروتستانتي وإطلاق حركة الإصلاح الديني في أوروبا 1523 م.
- الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية..
- قاعدة الصهيونية المسيحية:

(الشعب / الوطن / عودة المسيح)

4) المواضيع:

رابعاً: الدعوة لانبعث أمة اليهود من خلال حركة الإصلاح الديني

- الإصلاح الديني طرح بأن اليهود هم الأمة المفضلة.
- عودتهم إلى فلسطين تحقق وعد الله.
- عودتهم ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية).

5) تكريماً لهذه الدعوة:

- أصبح العهد القديم (التوراة) المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها.
- اعتبار اللغة العبرية اللسان المقدس الذي خاطب به الله شعبه المختار واللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

6) عقيدة الكنيسة البروستانتية الجديدة:

- أصبحت المعتقدات الدينية اليهودية جزءاً من عقيدة الكنيسة الجديدة ومن جوهر طقوسها وتحولت قاعدة عامة التربية الدينية وخرجت اتباعاً من رجال السياسة والأدب والفكر.
- في القرن السادس عشر تجاوزت اليهودية من خلال الكنيسة البرونستانتية حدود العقيدة الدينية وأصبحت أمة ورمزاً للقومية..

7) مفاعيل الصهيونية المسيحية وتتويجها بمؤتمر بازل ل 1897 م

اولاً: الصهيونية المسيحية الاوربية:

- هولندا وبلجيكا (الأراضي الواطية).
- فرنسا.
- المملكة المتحدة.

ثانياً: الصهيونية المسيحية الامريكية

❖ أولاً: الصهيونية المسيحية الأوروبية

1) الأراضي الواطية هولندا وبلجيكا:

- اللوترية والكالفانية.
- الفيلسوف اليهودي الهولندي «هوفن غروتش» نشر كتابه «حقيقة الدين المسيحي» ابراز فيه الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة (البروتستانتية).
- عالماً اللاهوت (التطهيريان) الانجليزيان الاخوين كاثرايت وجها مذكرة للحكومة البريطانية دعى فيها إلى شرف نقل الشعب اليهودي والعودة إلى أرضه على عاتق بريطانيا وهولندا.

❖ مفاعيل الصهيونية المسيحية الأوروبية

(2) فرنسا

- الجنرال نابليون أول اوروبي يدعو اليهود إلى إقامة وطن في فلسطين خلال حملته على مصر والشرق 1798 م، حيث تبني موقفاً سياسياً اعتمدت على نبوءات دينية يهودية وردت أشيعياً.
- كانت دعوة نابليون أول ترجمة سياسية للصهيونية المسيحية والتي انتزعت أول إقرار أوروبي بادعاء أن اليهود لم حقاً في فلسطين.
- روجت للدعوة وعلى نطاق واسع في عهد لويس الرابع عشر على يد رئيس حكومته «جان كولير»، ثم في عهد نابليون الثالث على يد مستشاره «إرنست لاهارفي» 1860 م.

❖ مفاعيل الصهيونية المسيحية الأوروبية

(3) المملكة المتحدة (أ):

- كانت خالية من اليهود قبل نهاية القرن الرابع عشر، تنفيذاً «قانون النفي» الذي اصدره الملك إدوارد ضد اليهود.
- «أوليفر كروميل» الجمهوري يلغى قانون النفي 1655 م استجابة لنداء الاخوين كاترايت.
- «هنري فنش» يدعو في دراسة «الاستعادة الكبرى للعالم» إلى حملة صليبية جديدة لاستعادة «امبراطورية الأمة اليهودية».

المملكة المتحدة والصهيونية المسيحية (ب)

- تكوين «جمعية لندن» لتعزيز المسيحية بين اليهود 1807 م.
- إنشاء أول قنصاية انجليزية في القدس 1838 م، وتعيين قس بروتستانتي نائباً للقنصل.
- نشر دراسة اللورد آشيلي كوبر (إيرل شافسبري) بأن اليهود هم الأمل في المسيحية وعودة المسيح الثانية 1839 م.
- برنامج اللورد شافسبري إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود في فلسطين على قاعدة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض 1840 م.

❖ المملكة المتحدة والصهيونية المسيحية(ج)

- 1839 م يقترح وزير البحرية في رسالته إلى وزير الخارجية «بالمرستون» دعوة أوروبا للاقتداء ب «قورش» لإعادة اليهود إلى فلسطين.
- 1840 م وزير الخارجية «بالمرستون» في رسالته إلى السلطان العثماني يدعو إلى تحويل هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين.
- 1844 م البرلمان الإنجليزي يؤلف لجنة «إعادة أمة اليهود إلى فلسطين».
- 1845 م إعلان مشروع «إدوارد منفورد» إقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة حتى تمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها.
- 1865 م تأسيس صندوق استكشاف فلسطين في لندن براعية المملكة «فيكتوريا» و رئيس أساقفت «كانتيري»

المملكة المتحدة والصهيونية المسيحية (توطين اليهود في فلسطين)

- بدأ التمهيد للاستيطان في فلسطين من خلال بعثات الاستكشاف الممولة من قبل «صندوق اكتشاف فلسطين» منذ عام 1865 م.
- اقترح «لورانس اوليفنت» في كتابه «أرض جلعاد» إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف هكتار.
- تبني رئيس وزراء بريطانيا «دزرائيلي» هذا المقترح وكلف «اوليفنت» بالتفاوض مع السلطان العثماني للحصول على موافقته بإقامة المستوطنة.
- تولى قسيس «انجوليكاني» يدعى «هشار» تنظيم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين وأصدر كتاباً عام 1894 م عنوانه «عودة اليهود إلى فلسطين».

4) المؤتمر اليهودي الصهيوني الأول وإعلان وعد بلفور

1) مؤتمر بازل 1897 م:

- تم الإعلان عن البرنامج السياسي للمؤتمر الصهيوني اليهودي الأول 1897 م متضمناً ما يلي:
 - «تكافح الصهيونية من أجل إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون».
 - يرى المؤتمر أن الوسائل التالية تؤدي إلى الغاية المنشودة:
- 1- تشجيع عين لفلسطين على أسس مناسبة .
- 2 - في تنظيم وربط جميع اليهود عن طريق المؤسسات المحلية أو الدولية، طبقاً لقانون كل دولة.
- 3- تعزيز وتشجيع الاحساس بالشعور القومي اليهودي.
- 4- إتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة حكومية حين يكون ذلك ضرورياً للوصول إلى أهداف الصهيونية.

(2) عرضت بريطانيا (وزير المستعمرات تشمبرلين) الذي تبني المشروع الصهيوني مع (هرتزل مؤلف كتاب الدولة اليهودية) بأن يساهم في تمويل مشروع للمهاجرين اليهود لتوطينهم في العريش أو أوغندا أو برقه في ليبيا.

(3) رفض هرتزل العرض ولكنه أرسى قاعدة اللقاء الذي تم سنة 1914 م بين آرثر بلفورو حاييم وأيزمان والذي أعلن عن وعده المشؤوم 1917 م.

(4) أعد بلفور مذكره جاء فيها:

«.....إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، سواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية أكثر بكثير رغبات وميول العرب الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة».

- (5) فور صدور وعد بلفور تحرك اليهود لتنفيذ، حيث وصل إلى فلسطين وفد يهودي يضم ويزمان، وروتشليد، وإسرائيل زيف للعمل كلجنة ارتباط وتنسيق مع السلطة العسكرية البريطانية.
- (6) أبقت بريطانيا فلسطين تحت الانتداب تمهيدا للوقت المناسب الذي يتمكن فيه اليهود من إعلان دولتهم .
- (7) عينت بريطانيا يهودياً لشغل منصب المندوب السامي البريطاني في فلسطين هربرت صموتيل وهو أول يهودي يحكم فلسطين منذ ألف عام.
- (8) إعلان دولة الكيان الصهيوني في مايو 1948 م كتبرير ديني لفكرة الوطن.

• تانيا: الصهيونية المسيحية الأمريكية

➤ منذ طلب المسلمين واليهود من الأندلس (فرديناند وإيزابيلا) قام بإرسال كلومبوس بما يسمى باكتشاف أمريكا في عام 1492.

➤ حمل الصراع الديني في أوروبا في مطلع القرن السابع عشر المتهودون الجدد إلى العالم الجديد، كان لهؤلاء آثار مباشرة على بلورة الشخصية الأمريكية باتباع الدين الجديد من البروتستانت والمتطهرين.

➤ تمظهرات ذلك:

1- أعطوا لأبنائهم أسماء عبرانية (إبراهيم - ساره - إيلي عازر..)

2- أطلقوا على مستوطناتهم أسماء عبرانية (حبرون - سالم ..)

3- فرضوا تعليم اللغة العبرية (أول دكتوراه في جامعة هارفورد 1642 بعنوان العبرية هي اللغة الأم/ أول كتاب طبع كان سفر المزامير / أول مجلة اليهودي)

❖ ملامح أخرى :

- خلال الحرب الأهلية الأمريكية كان القساوسة في مواعضهم يشبهون الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي في كفاحه من أجل استرجاع أرض الميعاد.
- بلغ الأمر لتأثير المسيحية الصهيونية على الرواد الأوائل بأن الرئيس جيفرسون اقترح اتخاذ أمريكا رمز يمثل أبناء النبي إسرائيل تضلهم غيمة وأمامهم عمود نور.
- أعلن القس جوزيف سميت مؤسس الكنيسة المرمينية نظرية البعث اليهودي في فلسطين في سنة 1814م.
- في عام 1814 ارتفعت الدعوات الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين.
- انتقل أحد رواد الحركة وهو القس جيرسون إلى فلسطين واعتنق اليهودية وعمل مستشاراً للحكومة الأمريكية في القدس.
- أنشأ القس جيرسون مستوطنة زراعية يهودية في 1852 ووطن فيها إنجيليين ويهود أمريكيين بدعم من مؤسسات مسيحية يهودية إنجليزية.

• أبرز دعاة عودة اليهود إلى فلسطين:

يعتبر القس وليام بلاكستون (أب الصهيونية الأمريكية) أخطر شخصية أمريكية صهيونية (1884-1935) لما يلي:

- 1- مارس الضغط السياسي من أجل تسريع وتسهيل الدعوة لتوطين اليهود في فلسطين.
- 2- نشر كتابه المسيح آت في عام 1878 والذي ربط فيه عودة اليهود إلى فلسطين بعودة المسيح إلى الأرض.
- 3- أسس منظمة تدعى (البعثة العبرية من أجل فلسطين) والتي مازالت تعمل باسم جديد (الزمالة اليسوعية الأمريكية) وهو قلب اللوبي الصهيوني في أمريكا.

- كذلك من أعمال الضغط الذي مارسه بلاكستون عبر منظمته جمع توقيعات 413 شخصية أمريكية من السياسيين وأعضاء الكونغرس والقضاة ورجال الأعمال والصحفيين ورفعت كعريضة للرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون 1891م تأييدا لإقامة وطن يهودي في فلسطين.
- عكس هذا الأمر التوافق بين الصهيونية المسيحية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة والذي تبلور فيما بعد في موافقة البيت الأبيض والكونغرس على وعد بيلفور.
- في 21-9-1923 أصبحت الولايات المتحدة شريكا لبريطانيا في تنفيذ الوعد الذي أصبح وعدا بريطانيا أمريكيا.

• مفاعيل الصهيونية الأمريكية

1- حث اليهود على التجاوب مع نداء العودة حتى إن بلاكستون تم وصفه أب الصهيونية الأمريكية.

2- حث السلطان العثماني على قبول توطين اليهود في فلسطين:

- ممارسات السفير الأمريكي ليو ولاس في إسطنبول.

- ممارسات القنصل الأمريكي إدوان والاس في القدس مؤلف كتاب (القدس المقدسة) والذي يقول فيه إن كان التوطين غير مقبول الآن فسيكون مقبولا فيما بعد.

3- تكوين المنظمات والهيئات الشعبية والدينية لتوفير الدعم المعنوي والمادي:

- 1930 القس روسل يؤسس الفدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين

- 1932 السيناتور روبرت واغنر يؤسس اللجنة الأمريكية الفلسطينية.

- 1942 تأسس على قاعدة وعد الفور المجلس المسيحي لفلسطين الذي رفع شعار الأرض الموعودة.

4- القرار السياسي الأمريكية صناعة صهيونية.

أ- الكونغرس:

تبنى الكونغرس القرار الصهيوني اليهودي الذي عقد في نيويورك 1942 وجاء في قرار الكونغرس 1944 مايلى:

تتعهد الولايات المتحدة بموجبه بذل قصار جهدها من أجل فتح أبواب فلسطين أمام اليهود للدخول إليها بحرية ولإتاحة الفرصة أمامهم لاستعمارها حتى يتمكن الشعب اليهودي من (إعادة تكوين فلسطين يهودية ديمقراطية حرة).

ب- الرؤساء

- أرسى الرئيس و드로 ويلسون قاعدة الالتزام الأمريكي بالوطن القومي اليهودي حيث أصبح من ثوابت الرؤساء فيما بعد.
- الرئيس هاري ترومان الأكثر تجسيدا للصهيونية المسيحية في العصر الحديث وفي عهده تم الإعلان عن الدولة اليهودية في فلسطين في 1-5-1948 والاعتراف بها في 14-5-1948 وتم منحها قيمة 100 مليون دولار.
- كان يؤمن بالتبرير التاريخ لوطن قومي يهودي.
- يمكن إعطاء أمثلة أخرى عن العديد من الرؤساء مثل كارتن وريغن الذي يؤمن بمعركة هرمجدون والرئيس الحالي بايدن والذي قال أنا لست يهودية وإنما أنا صهيوني.